٨

دور الإيقاع في تعزيز العربية الفصحى وتعلمها

الدكتور: منير عبده علي أنعم/ كلية التربية/جامعة صنعاء

الدكتور: عدنان يوسف أحمد الشعيبي /كلية اللغات/جامعة صنعاء

الملخص

يحاول هذا البحث التعريف بارتباط العربية بالإيقاع ، والدور الذي يقوم به الإيقاع في تعزيز اللغة الفصحى وتعلمها ، وقد تضمن إجمالاً الجوانب الآتية :

- ارتباط أمة العرب الأولى بالإيقاع ، وتأثر لغتهم شعراً ونثراً بالطبيعة الإيقاعية في حياتهم ، فكان مما اتصف به تكوينهم الاجتماعي والثقافي تأثر مشاعرهم بطبائع الإيقاع وتجانس حركاته وسكناته في حركتهم وحركة الطبيعة من حولهم، وفي سير رواحلهم وجري خيلهم ، وإيقاع سيوفهم ومبارزاتهم، مما صبغ تعبيراتهم الأدبية بطابع إيقاعي اتخذ أنماطاً موسيقية ذات متوالية اتباعية ، يسير عليها اللاحق باقتفاء السابق.
- الدور الذي يؤديه الإيقاع في القرآن الكريم في تعزيز حفظ اللغة، وتعزيز القدرة السريعة على خزن كلماتها في الذاكرة، لا سيما الأطفال في حفظ قصار السور ؛وهذا الدور يتمثل في كون الكلام المنسجم المنتظم أيسر على الذاكرة السمعية في إعادته وترديده ، كما يؤدي الإيقاع بتكرار بعض الحروف إلى تقويم اللسان للنطق الصحيح لهذه الحروف، مع طول الممارسة والتدريب .
- إبراز دور الإيقاع في الشعر الفصيح ببحوره المعروفة في التدريب على النطق الصحيح للغة ، وتحري النطق السليم لأواخر الكلمات كما هي في مواقعها الإعرابية ، لما يتسم به إيقاع الشعر الفصيح بأوزانه المختلفة من إلزام القارئ على النطق بالحركات الإعرابية أواخر الكلمات .
- التعريف بدور النظم الإيقاعي في حفظ قواعد اللغة نحواً وصرفاً ، أو ما عرف بالمنظومات الشعرية .
- التعريف بدور الإيقاع في تعليم بعض القواعد الصرفية في المشتقات .

أهداف البحث:

يمكن إجمال أهم الأهداف التي يتوخاها البحث في الجوانب الآتية:

- إبراز ارتباط العرب بالإيقاع ، وأثره في نشوء أهم مظاهر الفصحى :الشعر والنثر الأدبي وفق سمات إيقاعية.

. إبراز الدور الذي يقوم به الإيقاع القرآني في تعزيز حفظ اللغة وتعلمها، وتعزيز القدرة السريعة على خزن كلماتها في الذاكرة.

. تعزيز العربية الفصحى من الناحية التعليمية، من خلال إبراز الدور الذي يؤديه إيقاع الشعر الفصيح ببحوره المعروفة في التدريب على النطق الصحيح للغة ، وتحري النطق السليم لأواخر الكلمات كما هي في مواقعها الإعرابية.

هيكل البحث:

- مقدمة عن ارتباط العرب بالإيقاع.
- مفهوم الإيقاع.
- دور الإيقاع القرآني في تعليم الفصحى.
- دور إيقاع الشعر الفصيح في تعليم الفصحى.

مقدمة عن ارتباط العرب بالإيقاع.

كان مما اتصف به العرب في تكوينهم الاجتماعي والثقافي تأثر مشاعرهم بطبائع الإيقاع وتجانس حركاته وسكناته في سير رواحلهم وجري خيلهم ، وإيقاع سيوفهم ومبارزاتهم، مما طبع جزءاً من تعبيراتهم وأصواتهم الصادرة بطابع إيقاعي منتظم ، واتخاذ أنماط موسيقية ذات متوالية اتباعية ، يسير عليها اللاحق باقتفاء السابق ،فتم لها التطور والنضج زمناً بعد زمن حتى ظهرت في قوالب لغوية أدبية تشكلت وفقاً لتلك النمطية ، فحينما كانت ذاتيته تجيش بمشاعرها ، وتعتلج بعواطفها ، هاجت قريحته بالتصويت والنغم ، الذي أخذ – كما يبدو- شكل المقطعات الموسيقية ، التي تطورت بعد ذلك لتُرَكَّب عليها اللغة ، فظهر ما عرف بالشعر ، إذ انتظام الصوت والنغم يدفع إلى انتظام اللغة أيضاً ، و حينئذ لم يكن الشعر مكتمل الأوزان كما عُرف فيما بعد ، ولعله أخذ شكل المقطعات الشعرية المتجانسة مع تلك المقطعات النغمية الصوتية ، فارتبط النغم بالشعر فترة من الزمن ، وحين اكتملت شجرة الشعر وتفرعت أغصانها أخذت شكل الأوزان المعروفة بستة عشر وزناً مع تتطور الزمن وتطور اللغة والإيقاع ، سوى أن ارتباطية النغم بالشعر لم تكن ضرورية فيما تلا بعد ذلك من العصور ، فقد حلت موسيقى الشعر بأوزانه المكتملة في مخزون الذاكرة العربية بالحفظ والرواية والتداول المستمر ، فكلما هاجت مشاعر

العربي الشاعر بالتعبير عما في نفسه امتزجت معها موسيقى الشعر المحفوظة في ذاكرته وذائقته ، فانتجت شعراً اتخذ سبيله على وزن من الأوزان الشعرية المتداولة ، أو ما عرف بعد ذلك باسم البحور ، والحال نفسه في النثر العربي الذي اتخذ بنى لغوية ذات ملامح إيقاعية مسجوعة، تم محاكاتها واتباع سننها جيلاً بعد جيل ، وتعرضت لأشكال مختلفة من التطوير والتجديد حتى وصلت إلى ما هي عليه من الإغراق في الصنعة والتكلف في عصري المماليك والعثمانيين .

إن ما حفظ لأمة العرب مخزونها الكبير من الشعر والنثر هو ما تميزت به تلك الأمة عن غيرها من الأمم الأخرى في القدرة الفائقة على الحفظ ، ثم تداوله محفوظاً عن طريق الرواية الشفوية ، فأخذ شكل الدائرة (قولاً ثم حفظاً ثم رواية شفوية ثم حفظاً ثم رواية ، وهكذا ...) قروناً من الزمن حتى تم له التدوين في العصور الإسلامية بعد ذلك، وكان مما سهل عليهم حفظ الشعر والنثر ، وخاصة الشعر ، هو النظام الإيقاعي المنتظم وفقاً لتلك الأوزان المحفوظة ،إذ يسهل على الإنسان عادة حفظ الأشياء المنتظمة ، بينما لا يستطيع تذكر العشوائي منها .

إن ملكات الحفظ والرواية عند العرب كانت مما أهلهم بعد ذلك لحمل الدين الإسلامي الجديد ، فحفظوا القرآن الكريم في صدورهم ،وحفظوا آلاف الأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحفظوا سيرته وسير أصحابه إلى أن تم لها التدوين في الكتب بعد ذلك ، وهذا من تسخير الله سبحانه وتعالى وتكفله بحفظ القرآن الكريم في صدور القوم أولاً ثم بالتدوين بكل أشكاله قديماً وحديثاً حفظاً متطابقاً لما أنزل دون زيادة أو نقص ، وهي أسباب هيأها سبحانه لحمل الرسالة المحمدية من جهة ، ولحفظ اللغة العربية الفصحى ، و حُفِظ كل ما يخدم القرآن الكريم من شعر العرب ونثرهم إلى وقتنا الحاضر حتى قيام الساعة.

مفهوم الإيقاع:

لا يزال مفهوم الإيقاع محل اختلاف بين كثير من الباحثين ، ذلك أن اللغات تختلف في تراكيبها وفي خصائصها الإيقاعية وألوان نصوصها اللغوية، وهذا التنوع أفضى بالأمر إلى تنوع آخر على مستوى زوايا النظر إلى الإيقاع ، فضلاً عن وجود الاختلاف داخل اللغة الواحدة بين إيقاعات أجناسها الأدبية شعراً ونثراً ، وهذا الأمر ينطبق على لغتنا العربية ، بشعرها ونثرها من جهة ، وبارتباطها بالنص المقدس القرآن الكريم من جهة ثانية ، ومع كل ذلك يرى بعض الباحثين أن الإيقاع كما يبدو في جميع الفنون على هيئة تكرار لعنصر ثابت ، وعلى هيئة تناسب وتناسق وتوافق [1] ، وقد يقوم هذا التناسب بين عناصر حاضرة وغائبة ، أو بين عناصر متوافقة ومتخالفة ، ومن ثم يكون مفهوم الإيقاع كما يرى بعض الباحثين أنه :" تناسب وانتظام العلاقات

[1]) د. نبيل راغب : عناصر البلاغة الأدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص١٠٨.

بين العلامات من حيث الحضور والغياب ، والنظام والتغير ، والتوافق والتخالف للعناصر المشكلة لتلك العلاقات ، وينطبق ذلك على اللغة ، كما ينطبق على أي شيء في هذا الكون" (١)

القرآن والإيقاع :

لا شك أن القرآن الكريم معجزة لغوية بالدرجة الأولى ، وهذه المعجزة اتسمت لغتها بنظم وأسلوب في أعلى درجات البلاغة والفصاحة ، لم يستطع العرب أن يأتوا بمثله ولو بآية ، وكان مما اتصف به نظمه وأسلوبه أن له إيقاعات خاصة معجزة ، فهمها العرب وأثرت في ذائقتهم ومشاعرهم ، كون فكرة الإيقاع معروفة لديهم ولها صور وأشكال عدة في ذاكرتهم شعراً ونثراً ، إلا أن نظماً وإيقاعاً بهذا الأسلوب أعجز قرائحهم أن تأتي بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

لقد تجلى الإيقاع في القرآن الكريم واضحاً بأشكاله البسيطة والقريبة للذهن فيما نزل من السور المكية ، ذات الجرس الإيقاعي المتقارب القائم على نظام الفواصل القرآنية المتماثلة في نهايات الآيات ، وعلى أنظمة التوازي اللغوي بين الألفاظ ، بينما تقع بعض إيقاعاته على وجه متناسب بين عناصر متوافقة ومتخالفة معاً .

ولما كان العرب يتأثرون بإيقاع شعرهم ، وأسجاع نثرهم ، فقد كان للنظم القرآني بمعانيه الجديدة المحمولة على ذلك الإيقاع الجديد تأثير أكبر ، ووقع أشد ، مما دفع بعضهم للشهادة له بالتفوق والسمو على كل قول ، إلا أن الكبر والمعاندة حملهم على عدم اتباع هديه والإيمان به .

وفي جانب آخر اتسمت السور المدنية بإيقاعات مختلفة وأنماط خاصة ناسبت سياقاتها ومواقفها الحالية فيما بعد ، وظل لتلكما السمتين الإيقاعيتين في المنزَّل من السور المكية والمدنية الأثر النفسي والإقناعي من جهة ، والأثر التعليمي اللغوي من جهة أخرى .

الدور التعليمي اللغوي الذي يقوم به إيقاع القرآن الكريم :

١- من مظاهر الإيقاع في السور القصار من التنزيل المكي فواصل الآيات المنتهية بحروف متكررة ، وهذه السور يقوم الأطفال بحفظها عادة في بدء تعلمهم للقرآن الكريم ، وبدء تعلمهم للغة الفصحى ، وتتسم هذه السور بسهولة النطق وخفة التراكيب ، وتقوم الخاصية الإيقاعية فيها على تكرار بعض الحروف في مساحات قصيرة ،وعلى ظاهرة التوازي في بعض ألفاظها وتراكيبها ؛ مما يجعل عملية الحفظ والاستدعاء لدى الطفل سهلة ويسيرة ، ويعلل إبراهيم أنيس تفسير انجذاب الطفل عموماً إلى حفظ الكلام الإيقاعي ؛ إلى أن إدراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق إدراكه لمعناه وأخيلته ، كما أن

(١) د. أحمد صالح غازي: الإيقاع في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، كلية اللغة العربية ،حيدر أباد ، الهند ، ٢٠١٢م، ص٣٣ .

الكلام المنسجم المنتظم أقل عبثاً على الذاكرة السمعية وأيسر في إعادته وترديده ، والطفل يشعر بقدرته على ترديد هذا النوع المنسجم في الأصوات ، المكرر في المقاطع دون إرهاق لذاكرته السمعية الناشئة القليلة الدربة والمران (١). ويضيف باحث آخر أن لدى الإنسان ميلاً غريزياً أو استعداداً فكرياً لالتقاط وتذكر جملة من المقاطع الصوتية المنغمة والمترددة أكثر بكثير من استعداده لالتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام ، وكل من شاهد حفظة القرآن الكريم من الأطفال يعرف أنهم يجيدون بسهولة واضحة حفظه وتذكره أكثر مما يجيدون حفظ غيره من النصوص وتذكرها ، لأن الإيقاع يساعدهم على ذلك (٢)

والفائدة التعليمية في ذلك أن الحروف ذات الإيقاع المتكرر في السور القصار ، وعلى وجه الخصوص التي يبدأ الطفل بتعلمها، تتسم بتردد بعض الحروف التي يكون لها أثر في تقوية عضلة اللسان ، كما هو الحال في حرف الدال المتكرر في نهاية سورة (الإخلاص) قال تعالى: ((قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد)) ، وتعد هذه السورة من أوائل سور القرآن الكريم التي يتعلمها الطفل ،بل هي المفضلة حينئذٍ ، فحرف الدال عند علماء اللغة والتجويد من حروف الشدة "التي هي انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج" (٣) ، ومخرج هذا الحرف ما بين رأس اللسان وأصل الثنيتين العُلْيَيَن (٤)،كما أن الدال في حال الوقوف عليه كما في السورة يتعرض للقلقلة التي هي شكل من أشكال الضغط ، والقلقلة "صوت زائد يحدث في المخرج بعد ضغط المخرج ، وحصول الحرف فيه بذلك الضغط ، وذلك عند فتح المخرج بعيد هذا الضغط " (٥)، وهذا يعني أنه حينما يتم تكرار هذا الحرف لغرض حفظ السورة يقوم الناطق بضغط اللسان على جدار الثنية مرات عديدة ، وهذا كله يعمل على تقوية عضلة اللسان لدى الطفل ومساعدته على إجادة نطق الحروف والكلمات الأخرى ، كما نجد في هذه السورة أيضاً حرف اللام المكرر (قل هوالله أحد – الله الصمد - لم يلد- لم يولد – ولم يكن له كفوا أحد) ، وهذا الحرف يخرج ما بين حافتي اللسان معاً وما يحاذيهما من اللثة (٦)، ونطق هذا الحرف يتم بضغط اللسان على اللثة ، وتكرار هذا الفعل عشر مرات كما في السورة ، مع حساب أن اللام في

---

١) د. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، ط(٦) ١٩٨٨م،ص٩.

٢) د. أسامة جاب الله : جماليات الإيقاع في اللغة العربية ،موقع رابطة أدباء الشام ، تاريخ ٢٠١٣/١/٢٥م، وهو أستاذ في كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

٣) حسني شيخ كمال : حق التلاوة ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١٩٩٩ ،ص١٠٨

٤) المرجع نفسه ،ص١٩٠

٥) المرجع نفسه ،ص١٠١

٦) المرجع نفسه ،ص١٩١

لفظ الجلالة (الله) ينطق مشدداً على نحو أقوى ، وهذا يعمل أيضاً على تقوية عضلة اللسان ، حين تتم العملية بصورة متكررة .

٢- ثمة حروف أخرى مكررة في نهايات الآيات لبعض السور القصار ولها الفائدة التعليمية نفسها ، كتكرار حرف الراء اللساني في سور (الكوثر – العصر) ، وأيضاً تكرار حرف السين في أواخر سورة الناس ، والسين حرف يشيع نطقه عند الأطفال ثاءً ، وتكرار حرف القاف في بداية سورة الفلق ، الحرف الذي ينطق في بعض اللهجات همزة ، كما في بعض اللهجات المصرية والسورية ، أو ينطق جيماً كما في لهجة الصعيد في مصر أو بعض لهجات اليمن ، كل ذلك له فوائد كبيرة في تدريب الطفل على نطق هذه الحروف نطقاً صحيحاً وسليماً ، فيكون له أثره التعليمي المفيد في النطق وتقوية مسالك الحروف ومخارجها ، والأمر يطول لو تتبعنا فوائد النطق بحروف السور القصار عامة ، إلا أننا أعطينا بعض النماذج التي تمثل ظواهر إيقاعية ذات فوائد تعليمية في النطق والتدرب عليه .

٣- بينما يتجسد في بعض السور القصيرة في القرآن الكريم ، الإيقاع القائم على التناسب بين المتوافق والمتخالف نلحظ ذلك في قوله تعالى في سورة الفلق :

((قل أعوذ برب الفلق ❖ من شر ما خلق❖ ومن شر غاسق إذا وقب❖ ومن شر النفاثات في العقد ❖ ومن شر حاسد إذا حسد)) ، فهناك توافق في تكرار حرف القاف بين الآية الأولى والثانية ، وتوافق في تكرار حرف الدال بين الآية الرابعة والخامسة في نهاية السورة ، بينما نجد الاختلاف في وجود حرف الباء في نهاية الآية الثالثة الواقعة في المنتصف ، ومع هذا التخالف ، فإنه يمثل وجهاً من وجوه التناسب بين متوافقين ، كما أن وضع هذا الحرف الشفوي(الباء) المختلف بين المتوافقين القاف والدال يمثل انتقالاً نطقياً إيقاعياً بين حروف متباعدة المخارج (القاف – الباء – الدال) وهذا نوع من التلوين النطقي بين حروف تخرج من نهاية تجويف الفم إلى حروف تخرج من الشفة إلى حروف تخرج بين نهاية اللسان والثنايا العليا، وهي تكسب الطفل الاعتياد على سرعة الانتقال بين هذه المخارج ، وإجادة نطقها نطقاً سليماً.

دور إيقاع الشعر الفصيح في تعليم اللغة.

يتمثل دور الإيقاع في تعزيز الفصحى في النواحي التعليمية الآتية :

١- من المعلوم أن للشعر الفصيح ستة عشر وزناً أو بحراً موسيقياً، وهذه الأوزان تقوم على تفاعيل موزعة توزيعاً موسيقياً منتظماً كما ابتدعها العربي الأول صاحب ذلك الحس الموسيقي ، وتقوم في أصلها على حركات وسكنات ، إما (/ه) أو(//ه) أو (///ه) ، وفقاً للنظام المقطعي ، وليس الكلِمي ، فالتفعيلة قد تأخذ كلمة أو كلمة وجزء من الأخرى أو كلمتين ، وهكذا ، فنجد مثلاً على ذلك قول أبي العلاء من بحر الطويل :

فوا عجباً كم يدعي الفضلَ ناقصٌ...ووا أسفا كم يظهرُ النقصَ فاضلُ

فواعجباً كم يدعي الفضلَ ناقصٌ

فَوَاعَ/ جَبَنْ كَمْيَدْ/دَعِ لْفَضْ/لَنَاقِصُن

//ه / - //ه/ه/ه - //ه/ه - //ه//ه

فعولُ / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

ووا أسفا كم يظهرُ النقصَ فاضلُ

وَوَا أَ/ سَفَن كَمْيَظْ/هِرُ نْنَقْ/ صَفَاضِلُو

//ه / - //ه/ه/ه - //ه/ه - //ه//ه

فعولُ / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

فالذي يظهر عند النطق الصحيح للأبيات أن القارئ يُجبر إجباراً على تحريك أواخر الكلمات ، فيقوم بتحريك كلمات مثل (الفضلَ – ناقصٌ) (يظهرُ- النقصَ- فاضلُ) ، وأصل هذا التحريك الإجباري جاء بفعل إيقاع البحر وموسيقاه ، ولو لم يحرك لما استقام الوزن ولا النطق ، ويلزمه حينئذٍ البحث عن موقع الكلمة الإعرابي ؛ هل هي فاعل أم مفعول به ،أم مبتدأ أم خبر ، أو غير ذلك ؟ ، فيعتاد ذلك النطق المُعْرب، مما يصقل سليقته اللغوية ، فينطلق بها لسانه على نحو صحيح، ونجد ذلك في أمثلة كثيرة منها بيت المتنبي من بحرالوافر:

ودهرٌ ناسُهُ ناسٌ صغارٌ ... وإن كانت لهم جثثٌ ضخامُ

مفاعلتن مفاعلتن فعولن.... مفاعلتن مفاعلتن فعولن

إذ لا يجد القارئ مفراً من نطق حركات الرفع المتتالية ، المنوّن منها (دهرٌ- ناسٌ- صغارٌ- جثثٌ)وغير المنون(ناسُهُ- ضخامُ) ، لأن موسيقى البحر تضطره وتجبره على ذلك ، وإذا هو حاول التسكين ، أو حاول النطق بدون تنوين اختل نظام الإيقاع تماماً ، فالإيقاع والوزن يعتمدان - كما يشير أ. أي. ريتشاردز- على التكرار والترقب(التوقع) ، وعادة ما يكون هذا التوقع غير واعٍ ، فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء أكانت هذه المقاطع أصواتاً أو صوراً للحركات الكلامية ،تغادر الذهن وتهيئه لتقبّل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره ، إذ يتكيف جهازنا في هذه اللحظة بحيث لا يتقبل إلا مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة ، فكما أن العين في أثناء قراءة كلام مطبوع تتوقع بدون وعي أن يكون هجاء الكلمة باقياً كالمعتاد ، وأن تظل حروف الطباعة كما هي ، يكون الذهن بعد قراءة بيت و بيتين أو نصف جملة نثرية مهيئاً لعدد معين من التتابع

الممكن والمحتمل [1] ، وسلامة هذا التوقع يأتي بالممارسة التي يكتسب القارئ معها مهارة في النطق الصحيح الذي يأخذ شكل الطابع الفطري فيما بعد ، وهذا يتطلب أن يتدرب القارئ على قراءة مجموعة من الأبيات ، ولا يكفي البيت الواحد ، ويتمرس على نحو دؤوب على جميع التواءات الأبيات التي يحدثها الإيقاع مع الحركات النحوية في أواخر الكلمات (ضم- كسر- فتح – سكون – تنوين بالضم أو الكسر أو الفتح ، وهكذا) ، فيعتاد ذلك في جميع قراءاته ، وتكسبه قوة في عضلة اللسان وطلاقة في الحديث، وخاصة الطفل حين يتعلم قراءة الشعر وحفظه وهو صغير ، إلى جانب قراءة القرآن الكريم وحفظه ، مما يعزز من مكانة اللغة الأم لديه فيحبها ويعشق النطق بها ، و في هذا الباب تجارب عديدة وناجحة مع بعض الأطفال ،وبعض التلاميذ.

كما يُفضَل تحفيظ الأطفال بعضاً من قصائد الفصحى البسيطة مع وضع ألحان جميلة لها ، إذ يعد اللحن إيقاعاً آخر يضاف إلى إيقاع البحر ، ويدفع المنشد إلى تحريك أواخر الكلمات ، وهذه يتم التحضير لها بالنطق الصحيح مسبقاً ؛ إما بحفظها من التلفاز مباشرة ،كما هو حاصل في بعض القنوات الفضائية المفيدة ، أو بقيام المعلم بتلحينها ثم تلقينها للطلاب إنشاداً ونطقها نطقاً سليماً أمامهم، وتكرر هذه العملية عدة مرات ، فتضفي على الجو التعليمي متعة وتشويقاً ، مما يدفع إلى حفظها ونطقها على نحو سليم ، وخير مثال على ذلك أننا نجد أغلب الطلاب في مدارس اليمن يحفظون النشيد الوطني اليمني بلحنه ونطقه السليم .

لاحظ المقطع الثاني من النشيد [2]:

وحدتي وحدتي

يا نشيداً رائعاً يملأُ نفسي ... أنتِ عهدٌ عالقٌ في كلِّ ذمهْ

رايتي رايتي

يا نسيجاً حكتُهُ من كلِّ شمسٍ ... اخلدي خافقةً في كلِّ قمهْ

أمتي أمتي

امحنيني البأسَ يا مصدرَ بأسي ... واذخريني لكِ يا أكرمَ أمهْ

[1]) آ.أي.ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة/ إبراهيم الشهابي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٢م ، ص١٣١.

[2]) كلمات الشاعر عبدالله عبد الوهاب نعمان الملقب بـ(الفضول).

وهذا يعود إلى أن الطلاب قد تلقوه وتعلموه باللحن ، وهذا اللحن بدوره ساعدهم على نطق كلمات النشيد في محفوظهم الذهني على نحو صحيح .

إن استعمال الشعر الفصيح بإيقاعاته المعروفة يظل من أهم الوسائل في تعزيز النطق بالفصحى حتى زمننا هذا ، وهو دليل على قوة اللغة وفصاحتها ، بينما نجد أن التغييرات التي حدثت لتلك الأوزان فيما تلا العصور العباسية ، قد شاع فيها تسكين أواخر الكلمات ، ولم تعد العلامات الإعرابية واضحة في النطق لتساعد القارئ على النطق الصحيح ، وفق القواعد النحوية ، وهذا بسبب تغيير إيقاعات تلك الأوزان من إيقاعات الشعر الفصيح ، إلى إيقاعات الشعر العامي ، لذلك كان الشعر العامي فاقد الصلاحية لتعليم اللغة الفصحى ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، حتى وإن كان هذا الشعر العامي فصيح الألفاظ لا ينقصه إلا تحريك أواخر الكلمات ، كما هو الحال في الشعر الحُمَيْنِي اليمني ، الذي هو شعر فصيح ، لكن يغلب عليه التسكين في نهايات ألفاظه ، ويمكن ملاحظة ذلك في بعض القصائد الحمينية ، كقول الشاعر العنسي :

وا مغردْ بواديْ الدورْ منْ فوق الأغصانْ

وامهيجْ صباباتي بترجيعْ الألحانْ

ومن ثم كان التحريك دليل قوة وفصاحة، وكان التسكين دليل ضعف .

ومن سمات النظام الصوتي في إيقاعات الشعر العربي الفصيح ، أنه يعزز من اتساع اشتقاقات اللغة إذ إن تلونات الإيقاع الموسيقي تدفع الشاعر لاختيار مشتقات عديدة على مستوى الأفعال وعلى مستوى الأسماء ، مما يزيد من إثراء المادة اللغوية لدى الشاعر ، لكن ما هي الفائدة التي تعود على المتعلم للغة الفصحى ؟ ، وللإجابة عن هذا السؤال ، فإنه يمكن تدريب الطلاب على مجموعة من التمرينات اللغوية ذات البعد الإيقاعي، منها مثلاً :

حدد الاختيار المناسب من حيث الإيقاع المنتظم من بين الأبدال المختلفة ، أسفل كل بيت ، مما يأتي:

١. املؤا الدنيا ..... وارفعوا في الشمس هاما

(تبسما- ابتساما- ابتسامات)

٢. أرضنا واحة خير ❖ كلُّ خير على ..... قد أمرعا

(جنباتها- جوانبها- أجنابها) ([1])

[1]) البيتان للشاعر عبد الله عبد الوهاب نعمان الفضول .

٣ - شعب.... من أغلال قاهره ❖ حراً فأجفل عنه الظُلْم والظُلَم

(تفلَّت- أفلت- فلت)

٤- كما أن الإيقاع الموسيقي ينمي من مهارة القدرة على اختيار المترادفات المناسبة لسياقها من حيث المعنى والوزن، كما في التدريب الآتي[١] :

حدد الاختيار المناسب من حيث المعنى والوزن، من بين الأبدال المختلفة أسفل كل بيت ، مما يأتي، وضعه في مكان الفراغ:

سكتوا وأرسلت البنادق... ❖ هو فوق سحر بلاغة المتكلم[٢]

(قولاً- صيحةً- منطقاً)

على فجر يوم صبي❖ فيا ضحوات المنى إطربي[٣]

(أفقنا- انتبهنا- قمنا)

تقاسمته ..... السود واشتعلت❖ أقدامه في فيافيه وأذرعهُ[٤]

(الطرق- الدروب- الطرقات- السبل)

٥- لعل من الطرق المفيدة في تعليم بعض المشتقات الصرفية وتعلمها، الطريقة المعتمدة على الإيقاع بالقياس، فيقال مثلاً :

شرِبَ- يشرب- شرباً – فهو شارب ومشروب

ضرَبَ- يضرب- ضرباً – فهو ضارب ومضروب

استخرج- يستخرج- استخراجاً –فهو مستخرِج ومستخرَج

وتكون في معرفة الفعل الماضي والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، مع تنبيه الطالب إلى بعض المصادر السماعية الشاذة عن هذه القاعدة .

---

[١] بعض أفكار هذه التدريبات ،يراجع د. محمد المحجري في كتابه(مهارات لغوية) ، مع إضافة بعض الأفكار إليها ، وتغيير الأبيات المختارة.

د. محمد المحجري : مهارات لغوية ، مكتبة خالد بن الوليد ، صنعاء ، ط(١)

٢٠١٢م ، ص٦٢.

[٢] البيت للشاعرمحمد سعيد جراده.

[٣] البيت للشاعر:عبد الله البردوني .

[٤] البيت للشاعرالدكتور: عبد العزيز المقالح.

٦- كان مما اشتهر في تحفيظ قواعد النحو العربي وغيره من العلوم ، تلك المنظومات الشعرية ، كألفية بن مالك ، وملحة الإعراب للحريري ، وغيرها ، لغرض حفظ القواعد النحوية ، وخزن تلك القواعد في ذاكرة المتعلم ، ومن ثم فهمها واستيعابها بعد ذلك .

٧- من السمات العامة للإيقاع أنه يشد الانتباه والأسماع له ، ويمنح للغة هيبة وجلالاً ، مما يؤثر جمالياً ونفسياً على المتلقي ، ويعزز من قوة التواصل معه ، مما يدفع إلى حب اللغة الفصحى، وحب تعلمها والتعلق بها .

الخاتمة

يمكن إجمال أهم النتائج في جملة من الأمور على النحو الآتي:

- تأثر مشاعر العرب بطبائع الإيقاع وتجانس حركاته وسكناته ؛ إيقاع حركة الحياة (حركة السير – حركة الكائنات اللصيقة بحياتهم كالجمال والخيول – حركة الأحداث والمواقف المؤثرة فيهم واللصيقة بهم ؛ كالعمل والحرب وغيرها)، فكان له أثره في العربي الأول؛ في تكوين ثقافة لغوية أدبية(خاصة) وفق سمات إيقاعية .
- وجود الفطرة العربية الباحثة عن الجمال وعما يشبع الروح والعقل معاً ، تجسد ذلك في(اللغة الجميلة القائمة على الإيقاع والتناسب والانسجام) ، الروح والعقل ، للمادة فحسب ، فكانت معجزتهم لغوية (القرآن الكريم) تؤثر في العقل والروح معاً ، ومن ثم تحقيق الاستمرارية في التأثير .
- صبغ تعبيراتهم الأدبية بطابع إيقاعي اتخذ أنماطاً موسيقية منتظمة ذات متوالية اتباعية ، يسير عليها اللاحق باقتفاء السابق.
- تمثل دور الإيقاع القرآني في تعليم اللغة في:

١- تعزيز حفظ اللغة ، وتعزيز القدرة السريعة على خزن كلماتها في الذاكرة، لا سيما الأطفال في حفظ قصار السور ؛ وهذا الدور يتمثل في كون الكلام المنسجم المنتظم أيسر على الذاكرة السمعية في إعادته وترديده.

٢- يؤدي الإيقاع بتكرار بعض الحروف إلى تقويم اللسان للنطق الصحيح لهذه الحروف، مع طول الممارسة والتدريب .

- تمثل دور إيقاع الشعر الفصيح في تعليم الفصحى في:

١- التدريب على النطق الصحيح للغة ، وتحري النطق السليم لأواخر الكلمات كما هي في مواقعها الإعرابية ، لما يتسم به إيقاع الشعر الفصيح بأوزانه المختلفة من إلزام القارئ على النطق بالحركات الإعرابية أواخر الكلمات.

٢- من سمات النظام الصوتي في إيقاعات الشعر العربي الفصيح ، أنه يعزز من اتساع اشتقاقات اللغة ، إذ إن تلونات الإيقاع الموسيقي تدفع الشاعر لاختيار مشتقات عديدة على مستوى الأفعال وعلى مستوى الأسماء ، تكون مناسبة لسياقاتها ، مما يزيد من إثراء المادة اللغوية . وهناك بعض التمرينات اللغوية التي تعزز البعد الإيقاعي لدى المتعلم ، منها :

٣- كما أن الإيقاع الموسيقي ينمي من مهارة القدرة على اختيار المترادفات المناسبة لسياقها من حيث المعنى والوزن ، كما أن للنظم الإيقاعي دور في حفظ قواعد اللغة نحواً وصرفاً ، أو ما عرف بالمنظومات الشعرية .

٤- دور بعض أنماط الإيقاع في تعليم بعض القواعد الصرفية في استنتاج المشتقات

شرب- يشرب- شرباً – فهو شارب ومشروب

ضرب- يضرب- ضرباً – فهو ضارب ومضروب

استخرج- يستخرج- استخراجاً –فهو مستخرِج ومستخرَج

المصادر والمراجع:

المصادر:

. القرآن الكريم

المراجع العربية

. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، ط(٦) ، ١٩٨٨م.

. أسامة جاب الله : جماليات الإيقاع في اللغة العربية ،موقع رابطة أدباء الشام ، تاريخ ٢٠١٣/١/٢٥م.

. حسني شيخ كمال : حق التلاوة ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١٩٩٩.

. محمد العبد : من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد (٢٦) مج/ ٩، ١٩٨٩ م.

. محمد المحجري : مهارات لغوية ، مكتبة خالد بن الوليد ، صنعاء ، ط(١) ٢٠١٢م .

. محمود المسعدي : الإيقاع في السجع العربي ، محاولة تحليل وتحديد ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، ١٩٩٦م.

. نبيل راغب : عناصر البلاغة الأدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

المراجع المترجمة

. آ.أي.ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة/ إبراهيم الشهابي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٢م .

الرسائل العلمية

- أحمد صالح غازي: الإيقاع في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، كلية الدراسات العربية ،حيدر أباد ، الهند ، ٢٠١٢م.